

## مسألة سبحان

صنعة

أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، نِفْطَوَيْهِ  
(٢٤٤ - ٣٢٣ هـ)

تح. ياسين محمد السّوّاس

### المؤلف

هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، أبو عبد الله العتكيّ الأزديّ الواسطيّ، المشهور بنِفْطَوَيْهِ<sup>(١)</sup>، النحويّ<sup>(٢)</sup>.

- (١) قال ابن خلكان: نِفْطَوَيْهِ، بكسر النون وفتحها، والكسر أفصح، والفاء ساكنة.
- (٢) ترجمته في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٧٥/١٥، فهرست ابن التميمي (ط. إيران) ٩٠، تاريخ بغداد ١٥٩/٦ - ١٦٢، نزهة الألباء ١٧٨ - ١٨٠، المنتظم ٢٧٧/٦ - ٢٧٨، معجم الأدباء ٢٥٤/١ - ٢٧٢، الكامل لابن الأثير ٣١٣/٨، إنباه الرواة ١٧٦/١ - ١٨٢، وفيات الأعيان ٤٧/١ - ٤٩، المختصر في أخبار البشر ٨٨/٢، سير أعلام النبلاء ٧٥/١٥ - ٧٧، العمر ١٩٨/٢، ميزان الاعتدال ٣/١، الوافي بالوفيات ١٢٩/٦ - ١٣٣، مرآة الجنان ٢٨٧/٢، البداية والنهاية ١٨٣/١١، لسان الميزان ١٠٩/١ - ١١٠، غاية النهاية في طبقات القراء ٢٥/١، النجوم الزاهرة ٢٤٩/٣ - ٢٥٠، بغية الوعاة ١٨٧ - ١٨٨، شذرات الذهب ٢٩٨/٢ - ٢٩٩، هدية العارفين ٥/١، أعيان الشيعة ٧٠٩/٥ - ٧٢٠، معجم المؤلفين ١٠٣/١، الأعلام ٦١/١، بروكلمان ٢٢٠/٢، دراسات تاريخية لأكرم العمري (٨١ - ١١٥).

قال الثعالبي<sup>(٣)</sup>: لُقِّبَ «نِفْطَوَيْه» لدمايته وأدْمَيْتِه تشبيهاً له بالنفط، وهذا اللقب على مثال «سَيِّئَوَيْه»؛ لأنه كان ينسب في النحو إليه، ويجري في طريقته، ويدرس كتابه.

ولد نِفْطَوَيْه بواسطة (بين البصرة والكوفة) سنة أربع وأربعين ومائتين، وسكن بغداد إلى حين وفاته.

أخذ العربية عن المبرّد وثعلب ومحمد بن الجهم، وخلط نحو الكوفيين بنحو البصريين؛ وتفقه على مذهب داوود الظاهري، ورأس فيه<sup>(٤)</sup>.

حدّث عن إسحاق بن وهب العلاف، وخلف بن محمد كردوس، ومحمد بن عبد الملك الدَّقِيقِي الواسطيين، وشعيب بن أيوب الصَّرِيفِينِي، وعَبَّاس بن محمد الدَّورِي، وعبد الله بن محمد بن شاكر، وأحمد بن عبد الجبَّار العُطَارِدِي، وعبد الكريم بن الهيثم العاقولي، وغيرهم<sup>(٥)</sup>.

وقرأ على محمد بن عمرو بن عون الواسطي، وأحمد بن إبراهيم بن الهيثم البلخي؛ وأخذ الحروف عن شعيب بن أيوب الصَّرِيفِينِي صاحب يحيى بن آدم، وقيل: عرض عليه؛ وعن محمد بن الجهم<sup>(٦)</sup>.

حدّث عنه: المعافى بن زكريا، وأبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان، وأبو عمر بن حَيَّوَيْه، وأبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، وأبو طاهر بن أبي هاشم المقرئ، وأبو عبيد الله المرزباني، وأبو الفرج الأصبهاني، وآخرون<sup>(٧)</sup>.

(٣) اللطائف ٤٨، وانظر معجم الأدباء ٢٥٥/١، ووفيات الأعيان ٤٩/١.

(٤) إنباه الرواة ١٧٩/١.

(٥) تاريخ بغداد ١٥٩/٦، معجم الأدباء ٢٥٦/١، سير أعلام النبلاء ٧٥/١٥.

(٦) طبقات القراء ٢٥/١، ومعرفة القراء الكبار ٢٧٣/١.

(٧) تاريخ بغداد ١٥٩/٦، معجم الأدباء ٢٥٦/١، سير أعلام النبلاء ٧٥/١٥، معرفة القراء الكبار

٢٧٣/١.

وقرأ عليه: محمد بن أحمد الشنْبُودي، وعلي بن سعيد القَزَّاز ابن ذؤابة، وأحمد بن نصر الشَّنْدَائِي، وعبد الواحد بن أبي هاشم، وعمر بن إبراهيم الكَتَّاني<sup>(٨)</sup>.

### مكانته وأخباره

قال الزُّبيدي<sup>(٩)</sup>: «كان نَفْطَوَيْه أديباً مفتناً في الأدب، حافظاً لنقائض جرير والفرزدق، وشعر ذي الرُّمة، وغيرهم من الشعراء، وكان يروي الحديث، وكان ضيقاً في النحو...».

وقال القفطي<sup>(١٠)</sup>: كان — رحمه الله — متفتناً<sup>(١١)</sup> في العلوم، ينكر الاشتقاق في كلام العرب ويُحيله<sup>(١٢)</sup>، وله في ذلك مصنف.

وذكره المرزباني في المقتبس<sup>(١٣)</sup> فقال: كان من طهارة الأخلاق، وحسن المجالسة، والصدق فيما يرويه على حالٍ ما شاهدت عليها أحداً ممن لقيناه. وكان يقول: جلست إلى هذه الأسطوانة منذ خمسين سنة، يعني محلته بجامع المدينة. وكان حسن الحفظ للقرآن، أول ما يتدعى به في مجلسه بمسجد الأنباريين بالعَدَوَات، إلى أن يُقرئ القرآن على قراءة عاصم، ثم الكتب بعده.

وكان فقيهاً، عالماً بمذهب داوود الأصبهاني، رأساً فيه، يسلم له ذلك جميع أصحابه. وكان مسنداً في الحديث من أهل طبقة، ثقة، صدوقاً، لا يتعلّق عليه شيء من سائر ما رووه. وكان حسن المجالسة للخلفاء والوزراء،

(٨) طبقات القراء ٢٥/١.

(٩) طبقات النحويين واللغويين ص ١١٢، وانظر إنباه الرواة ١٧٨/١.

(١٠) إنباه الرواة ١٧٨/١، وانظر الوافي بالوفيات ١٣٠/٦.

(١١) عند القفطي: «متقناً في العلوم»، وصححت من «الوافي» للصفدي.

(١٢) أي يرى إبطاله وفساده.

(١٣) معجم الأدباء ١/٢٥٦—٢٥٧، وأعيان الشيعة ٢/٢٢١، ولم يرد النص في «نور القيس المختصر

من المقتبس» (٣٤٤—٣٤٥)، وإنما أورد تنقاً من أشعار ابن عرفة.

متقن الحفظ للسيرة، وأيام الناس، وتواريخ الزمان، ووفاة العلماء، وكانت له مروءة وفتوة وظرف.

كان بينه وبين محمد بن داوود الظاهري مودة أكيدة، فلما مات ابن داوود حزن عليه، وانقطع لا يظهر للناس، ثم ظهر، فقيل له في ذلك، فقال: إن ابن داوود قال لي يوماً: أقل ما يجب على الصديق أن يحزن على صديقه سنة كاملة، عملاً بقول أبيد<sup>(١٤)</sup>:

إلى الحَوْلِ ثم أَسْمُ السُّلَامِ عليكما وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فقد اعتَدَرَ  
فحزناً عليه سنة كما شرط<sup>(١٥)</sup>.

وكان بينه وبين ابن دُرَيْدٍ صاحب كتاب الاشتقاق منافرة، فقال فيه لَمَّا صَنَّفَ كتابَ الجُمُهرَةِ<sup>(١٦)</sup>:

إِبْنُ دُرَيْدٍ بَقَرَةٌ      وفيه لُومٌ وَشَرَّةٌ  
قَدْ ادَّعَى بِجَهْلِهِ      جَمَعَ كِتَابَ الْجُمُهرَةِ  
وَهُوَ كِتَابُ العَيْنِ م      إِلَّا أَنَّهُ قَدْ غَيَّرَهُ  
فبلغ ذلك ابن دُرَيْدٍ فقال يجيبه<sup>(١٧)</sup>:

لو أَنْزَلَ الوَحْيُ على نِفْطَوَيْهِ      لكان ذاك الوحي سُخْطاً عليه  
وشاعرٌ يُدعى بنصفِ آسِمِهِ      مستأهلاً للصفحِ في أُحْدَعَيْهِ  
أَحْرَقَهُ اللُّهُ بِنِصْفِ آسِمِهِ      وصَيَّرَ الباقي صُرَاخاً عَلَيْهِ  
وذكر الفِرْغَانِيُّ<sup>(١٧)</sup> أَنَّ نِفْطَوَيْهِ كان يقول بقول الخنابلة: إن الاسم

(١٤) ديوانه ٢١٤.

(١٥) معجم الأدباء ٢٥٩/١، بغية الوعاة ٤٢٩/١.

(١٦) معجم الأدباء ٢٦٤/١، والمزهر للسيوطي ٩٣/١، وبغية الوعاة ٤٢٩/١.

(١٧) معجم الأدباء ٢٧٠/١.

هو المُسَمَّى، وجرت بينه وبين الرَّجَّاج مناظرة، أنكر الرَّجَّاج عليه موافقته  
الحنابلة على ذلك.

### مؤلفاته

أشارت المصادر إلى أنه صنف عدداً من الكتب في اللغة والقراءة والنحو  
والتاريخ وغير ذلك، مما يدل على علمه وتنوع مشاركته. ولم يصل إلينا من تلك  
الكتب غير رسالته هذه التي نقدّم لها، فلعل الأيام تكشف لنا عن مخطوطات  
أخرى له. ومن تأليفه التي ذكر أكثرها ياقوت في «معجم الأدباء» نقلاً عن ابن  
النديم في فهرسته<sup>(١٨)</sup>:

- ١ — كتاب التاريخ.
- ٢ — كتاب الاقتصارات.
- ٣ — كتاب البارع<sup>(١٩)</sup>.
- ٤ — كتاب غريب القرآن<sup>(٢٠)</sup>.
- ٥ — كتاب المقنع في النحو.
- ٦ — كتاب الاستثناء والشرط في القراءة.
- ٧ — كتاب الوزراء.
- ٨ — كتاب الملح.
- ٩ — كتاب الأمثال.
- ١٠ — كتاب الشهادات (وذكره في النص المحقق).
- ١١ — كتاب المصادر.
- ١٢ — كتاب القوافي.
- ١٣ — كتاب أمثال القرآن.

(١٨) انظر الفهرست ص ٩٠ (ط. إيران) و ص ١٢٧ (ط. القاهرة)، ومعجم الأدباء ١/٢٧١.

(١٩) لم يذكر كتاب «البارع» و «الوزراء» و «أمثال القرآن» في نسخة الفهرست المطبوعة في إيران  
والقاهرة، وذكرها ياقوت نقلاً عن ابن النديم.

(٢٠) وصفه البغدادي في تاريخه بأنه كبير.

- ١٤ — كتاب الردّ على من يزعم أن العرب يُشتقُّ كلامها بعضه من بعض .
- ١٥ — كتاب الردّ على من قال بخلق القرآن .
- ١٦ — كتاب الردّ على المفضل بن سلمة في نقضه الخليل .
- ١٧ — كتاب في أن العرب تتكلّم طبعاً لا تعلماً .
- ١٨ — أمّا رسالته المعنية «مسألة سبحان» فقد انفرد بذكرها ابن الأنباري في «نزهة الألباء»<sup>(٢١)</sup> وذكرها بروكلمان في تاريخه ٢٢٠/٢ .

## شعره

ذكر القفطي<sup>(٢٢)</sup> نقلاً عن المرزباني أنه كان يقول من الشعر المقطعات في الغزل ، وما جرى مجرى ذلك ، كما يقول المتأدّبون ، فمن ذلك قوله :

عَنْجُ الْفُشُورِ يَدُورُ فِي لِحْظَاتِهِ      وَالْوَرْدُ غَضُّ الثَّبْتِ فِي وَجَنَاتِهِ  
وَتَكِلُّ السِّينَةَ الْوَرَى عَنْ وَصْفِهِ      أَوْ أَنْ تَرُومَ بِلُوغٍ بَعْضِ صِفَاتِهِ  
لَا يَعْرِفُ الْإِسْعَافَ إِلَّا نَحْطَرَةً      لَكِنَّ طُولَ الصَّدِّ مِنْ عَزَمَاتِهِ  
لَا يَسْتَطِيعُ «نَعَمٌ» وَلَا يَعْتَادُهَا      بَلْ لَا تَسُوعُ «لَعْلٌ» فِي لَهَوَاتِهِ  
وله في العفة<sup>(٢٣)</sup> :

كَمْ قَدْ تَخَلَّوْتُ بِمَنْ أَهْوَى فِيمَنْعُنِي      مِنْهُ الْحَيَاءُ وَخَوْفُ اللَّهِ وَالْحَذَرُ  
كَمْ قَدْ تَخَلَّوْتُ بِمَنْ أَهْوَى فِيمَنْعُنِي      مِنْهُ الْفِكَاهَةُ وَالتَّحْدِيثُ وَالتَّنْظَرُ  
أَهْوَى الْمِلَاحَ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالِسَهُمْ      وَليْسَ لِي فِي سِوَاهُ مِنْهُمْ وَطَرُ  
كَذَلِكَ الْحُبُّ لَا إِيَّانُ مَعْصِيَةٍ      لِأَخِيرٍ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا سَقَرُ

(٢١) ص ٣٢٦ .

(٢٢) إنباه الرواة ١/١٨٢ ، ومعجم الأدباء ١/٢٦٠ .

(٢٣) تاريخ بغداد ٦/١٦١ ، معجم الأدباء ١/٢٦٥ ، إنباه الرواة ١/١٧٧ .

وما استحسنه الزَّجَّاج وكتبه بخطه على ظهر كتاب «غريب الحديث» - وكان يحضروه - قوله (٢٤) :

تواصلنا على الأيام باقٍ ولكن هَجَرْنَا مَطَرُ الرِّبْعِ  
يَرُوعُكَ صَوْتُهُ لَكِنْ تَرَاهُ عَلَى رَوَاعِيهِ دَانِسِي النَّزُوعِ  
كَذَا العُشَّاقُ هَجَرُهُمْ دَلَالٌ وَمَرَجِعُ وَصْلِهِمْ حُسْنُ الرَّجُوعِ  
مَعَاذَ اللّهِ أَنْ تُلْقَى غِضَاباً سِوَى ذَلِكَ المَطَاعِ عَلَى المُطِيعِ

## وفاته

ذَكَرَ ياقوت في «معجم الأدياء» (٢٥) نقلاً عن المرزباني في «المقتبس» (٢٦) ، قال : مات - رحمه الله - يوم الأربعاء ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، وحضرت جنازته عشاءً ، ودفن في مقابر باب الكوفة ، وصلى عليه البربهاري .

وفي «نزهة الألباء» (٢٧) : توفي يوم الأربعاء ، لست خلون من صفر ، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، في خلافة الراضي ، ودفن يوم الخميس بمقابر باب الكوفة ، وصلى عليه البربهاري ، رئيس الحنابلة ، أبو محمد ، فيما ذكر أحمد بن كامل القاضي . ويروي عن منصور بن ملاعب الصيرفي ، قال : أنشدني إبراهيم نِفْطَوِيَّه (٢٨) :

أَسْتَغْفِرُ اللّهُ مِمَّا يَعْلَمُ اللّهُ إِنَّ الشَّقِيَّ لَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ اللّهُ  
هَبْهُ تَجَاوَزَ لِي عَنْ كُلِّ مَظْلَمَةٍ وَاسْوَعَتَا مِنْ حَيَاتِي يَوْمَ الْقَاهِ

(٢٤) معجم الأدياء ٢٦٩/١ ، ولعله أراد كتاب «غريب الحديث» لابن قتيبة ، وهو الأشهر .

(٢٥) ٢٥٦/١ .

(٢٦) لم يرد في «نور القبس المختصر من المقتبس» ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٢٧) ص ٣٢٩ .

(٢٨) نزهة الألباء ٣٢٩ ، تاريخ بغداد ١٦١/٦ ، معجم الأدياء ٢٦٦/١ ، إنباه الرواة ١٧٧/١ .



## الرسالة

ضمت مجاميع دار الكتب الظاهرية بدمشق عدداً من الرسائل النادرة، ومن بينها هذه الرسالة التي أقدمها اليوم. وهي في المجموع رقم (٧٩)، وتقع في ثماني ورقات، من (١١٩—١٢٧ق)، قياسها ١٧ × ١٣ سم، ومسطرتها (١٧) سطراً. كتبت بخط نسخ قديم، أصابها الرطوبة، وأساء ذلك إليها إساءة بالغة. والرسالة مما وقف على المدرسة الضيائية في سفح جبل قاسيون بدمشق. وعليها سماعات عدة، منها سماع لصاحبها الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن علي السمين، علي ابن ناصر السّلامي، ونقله من خطه عبيد الله بن أحمد بن علي السمين سنة خمس وأربعين وخمسمائة.

والنسخة مروية بالسند، رواها أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد ابن جعفر (?)، عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان (ت ٣٨٣ هـ)، عن ابن عرفة.

رواية الشيخ أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصّيرفي (ت ٥٠٠ هـ).

رواية الشيخ الإمام العالم الحافظ الثقة ناصر السنة أبي الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السّلامي (ت ٥٥٠ هـ).



ذكر العنوان على غلاف الرسالة، وفي السماعات، والمقدمة، كما ورد عند ابن الأنباري في «نزهة الألباء» (ص ٣٢٦) أثناء ترجمة المؤلف، ولا خلاف فيه.

وسبب التأليف حدثنا به المصنف - رحمه الله - في المقدمة، فقال: نَمَى إِلَيَّ خَيْرَ مَجْلِسٍ اجْتَمَعَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَفَقِّهَةِ وَالْقُرَّاءِ وَحَمَلَةَ الْعِلْمِ، فَتَذَاكُرُوا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَبِّحَانَ لِلَّهِ﴾، وَخَاضُوا فِي ذَلِكَ خَوْضًا لَمْ يَبْلُغُوا فِيهِ النِّهَايَةَ الَّتِي تَشْفِي صَدْرَ السَّامِعِ، وَتَلْحَقُ بِالْمَتَّبِعِ التَّابِعِ. ثُمَّ يَقُولُ: وَأَنَا أُبَيِّنُ مِنْ ذَلِكَ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ.

وراح بعدها يستقصي مواضع ورود الآية في القرآن الكريم، ويعرض لمعانيها المختلفة بشيء من الإيجاز.

### عملي في الرسالة

جهدت في أن أحل غوامض الكلم في نسخة سقيمة، وأرجو أن أكون قد وفقت إلى ذلك. واستعنت لهذا بكتب التفسير واللغة والنحو وغيرها. وأثبت في الحواشي بعض التعليقات قصد الإيضاح، أو التفصيل أحياناً. ترجمت للمؤلف ترجمة موسعة قليلاً، على صغر الرسالة، إذ قصدت بذلك التعريف به، فهو مع شهرته وكثرة مصنفاته، لا نكاد نتعرف على مكانته العلمية؛ لفقد كتبه.

والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.





الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين  
 النوازيسم الله الرحمن الرحيم  
 الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين  
 رضوان الله عليهم وكتبه من أصله قال فرى على الله  
 بنو نوح ارضهم محمد عشرين في شهر رمضان سنة  
 ادم وعان عشرين وتلاه والمطهر اسمع قال  
 سر المودة الموفق اطاعته واذا اذ امانته واداء ان يوحيه  
 في علمه ونصرت انبائه وانبائه من سبقت له في علمه  
 والارضية من فضائله الجريد الاولى  
 والاحرة واه الجار واليه من حول صلى الله على  
 محمد وآله وصحبه وسلم  
 الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين  
 من المتفهمه والفسر او وكله العار قد اجمع  
 قول الله عز وجل سمعان الله واطوا في ذلك حواصا  
 لم يبلغوا في الشهابه التي تشفى صدر السامع ورو

ظهر الورقة الأولى



بموتده الخيل سبحان الله عاشر كون ليعظم الله ورسولها  
 معاشرا كبره ولست تسمى ذكورا سبحان في سائر القرآن إلا  
 ومعها اثبات وتسمى بالآيات كما سابه التي هي صفاته التي  
 فيما تسمى ذلك فتأمل له قوله في سائر القرآن قوله  
 وجعلون لله البنات سبحانه وعوله سبحان الذي اسرى  
 عبده اى تزنا له وتعطبا عن قول الكثر من انسابه صل  
 الله انبياه وكذلك قوله سبحانه وتعالى يا يقولون علما  
 كبيرا استبحر لا السموات السبع والارض ومن قبس وان  
 من شئ الا يستبحر جهنم وللا لافق قول تسبحون تسبدا  
 انا فانه عنو على الاستبحر من السموات والارض وال  
 لا تفق تسبح الامم وان سالك تسبح بعض خلقه بعض  
 ذلك استبحر عليه كالف وعلنا سطورنا تسبحنا ما  
 لا يفهمه خلقه وان شاء ان تعلم ان انسانا عليه  
 صبا عمر موسى قال حدثنا ابو جعفر عن العابد تالف  
 صبا عيسى موقوف من عهد الصباح عنك قال طابع  
 الدراج في السماء الرعد على السموات استوى صبا  
 كمن يوقى بالصدى هيبور عسل الرعد ما العنا عله  
 رعبد عن فس قد استبحر والبر مسلمين واولاد

١٤٤

وجه الورقة ١٢٤



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان<sup>(١)</sup>، قراءةً عليه، وكتبته من أصله، قال: قرئ على أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة في شهر رمضان سنة عشرين وثلاثمائة، وأنا حاضر أسمع، قال:

الحمد لله الموفق لطاعته وأداء أمانته، والإيمان بوحيه وآياته، وتصديق أنبيائه وأبائه = مَنْ سَبَقَتْ لَهُ فِي عِلْمِهِ الرَّحْمَةُ، مِنْهُ مِنْهُ وَفَضْلًا. لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَهَادِي الْمُهْتَدِينَ، وَخَيْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

نَمَى إِلَيَّ خَيْرَ مَجْلِسٍ اجْتَمَعَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَفَقِّهَةِ وَالْقُرَّاءِ وَجَمَلَةَ الْعِلْمِ، فَتَذَاكُرُوا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾، وَخَاضُوا فِي ذَلِكَ خَوْضًا لَمْ يَلْغُوا فِيهِ النَّهْيَةَ الَّتِي تَشْفِي صَدْرَ السَّامِعِ، وَتُلْحِقُ/ بِالْمَتَّبِعِ الْتَابِعِ. وَأَنَا أَبَيِّنُ مِنْ ذَلِكَ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ.

فَأَوَّلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِلْمَلَائِكَةِ حِينَ سَأَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْأَسْمَاءِ؛ لِيُرِيَهُمْ أَنَّهُ قَدْ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاهُ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

(١) أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان، أبو بكر البزاز. عدت بغداد في عصره، مولده ووفاته فيها. له «مسلسلات في الحديث»، توفي سنة ٣٨٣ هـ (ترجم في المنتظم ١٧٢/٧، تاريخ بغداد ١٨/٤، شذرات الذهب ١٠٤/٣).

﴿ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فقد عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا عِلْمَ لَهُم بِذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَرَاهُم الْعَجْزَ ، وَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ أَي تَنْزِيهَا لَكَ أَنْ يَكُونَ فِي خَلْقِكَ مَنْ يَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمْتَهُ قَبْلَهُ ، ثُمَّ عَلَّمْتَهُ إِيَّاهُ ، أَوْ أَنْ يَعْلَمَ كَوْنُ مُحَدَّثٍ إِلَّا بِإِعْلَامِكَ إِيَّاهُ .

ومعنى « سبحان » : التنزيه ، والتعظيم ، والتكبير ، والإبعاد . فمعنى قوله : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أَي بعيد ذلك من صفات الله عزَّ وجلَّ ، وتنزيها لله عنه .

وقول القائل : سبحان الله عن هذا/، أَي برأته من هذا براءةً ، ونزّهته تنزيهاً . ثم جُعِلَتْ « سبحان » مكان ذلك ، فهي منصوبة على المصدر<sup>(٥)</sup> .

فأما قول الأعشى<sup>(٦)</sup> :

(٢) سورة البقرة الآية ٣١ .

(٣) سورة البقرة الآية ٣٢ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٩١ ، وسورة الصافات الآية ١٥٩ .

(٥) قال مكّي في إعراب سبحانك : منصوب على المصدر . والتسييح : التبرئة لله تعالى من السوء ، فهو يؤدّي عن [ معنى ] : نسبحك تسييحاً ، أَي نزهك عن السوء تنزيهاً ، ونبرّتك منه تبرئة . (مشكل إعراب القرآن ١/٣٥ و ١٧٢) .

وقال القرطبي في التفسير (٢٠٤/١٠) : « سبحان : اسم موضوع موضع المصدر ، وهو غير متمكن ؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب ، ولا تدخل عليه الألف واللام ، ولم يجز منه فعل ، ولم يتصرف لأن في آخره زائدتين ، تقول : سبّحت تسييحاً وسبحاناً ، مثل كفّرت اليمين تكفيراً وكفّراناً . ومعناه التنزيه والبراءة لله عزَّ وجلَّ من كلّ نقص ، فهو ذكّر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره . فأما قول الشاعر : أقول لما جاءني ... ، فأما ذكره على طريق النادر » .

(٦) ديوانه ١٠٦ ، الكتاب ١/١٦٣ ، الخصائص ٢/١٩٧ ، الخزانة ٢/٤١ ، مجاز القرآن ١/٣٦ ، معاني القرآن للزجاج ١/٧٨ ، تفسير القرطبي ١/٢٣٦ ، الجمهرة ١/٢٢٢ ، المقاييس ٣/١٢٥ ، الأساس واللسان والتاج (سبح) .

يقول لعلقمة بن عُلالثة العامري في مسافرتة لعامر بن الطفيل ، وكان الأعشى قد فضل عامراً عليه ونفّره . وعلقمة بن عُلالثة صحابي ، من بني عامر بن صعصعة ، من أشرف قومه ، قدم على



أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مِنْ عِلْقَمَةَ الْفَاخِرِ  
فنصب «سبحان» غير منون؛ لأنه نوى الإضافة، فالمعنى: تنزيهاً  
للفخر من أن يكون عِلْقَمَةً مِنْ أَهْلِهِ (٧).

وأما قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ﴾ (٨)؛  
فقولهم: «نُسَبِّحُ»، أي نَنْزَهُكَ وَتُبَاعِدُ عَنْكَ مَا وُصِفَتْ بِهِ مِنْ خِلَافِ  
صفاتك.

وقوله: «بِحَمْدِكَ»، أي بِرِضَاكَ، وَرِضَانَا بِذَلِكَ. وَالتَّقْدِيسُ: التَّطْهِيرُ،  
وَهَذَا سُمِّيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، أَيْ بَيْتَ الطَّهَارَةِ. وَهَذَا سُمِّيَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ: رُوحَ الْقُدُسِ، أَيْ رُوحَ الطَّهَارَةِ. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (٩):

أَمِينَاهُ رُوحُ الْقُدُسِ جَبْرِيْلُ مِنْهُمْ وَمِيكَالُ ذُو الْوَحْيِ الْقَوِيُّ الْمُسَدَّدُ  
وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ (١٠)، أَيْ تَنْزِيهَاً لَهُ  
عَنْ ذَلِكَ.

وقوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِثُونَ﴾ (١١)؛ الْقَانِثُ: الطَّاعَةُ؛ فَالْمَعْنَى: تَنْزِيهَاً  
لَهُ أَنْ يَكُونَ/ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا مَمْلُوكًا لَهُ، لَيْسَ فِيهِمْ وَكْدٌ؛ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ:  
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (١٢).

→ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيخ، فأسلم وبايع، وروى حديثاً واحداً. واستعمله عمر  
ابن الخطاب على حوزة فمات بها. انظر ترجمته وخبره مع الأعشى في الأغاني ١٢٠/٩ (طبعة  
الدار)، والخزائن ٤٢/٢.

(٧) ومعناه في اللسان (سبح): العجب منه إذ يفخر. وفي معاني القرآن للزجاج: البراءة منه ومن  
فخره.

(٨) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٩) لم يرد البيت في ديوانه بشرح البرقوقي، ولا في ديوانه بتحقيق الدكتور وليد عرفات.

(١٠) سورة البقرة الآية ١١٦، وسورة يونس الآية ٦٨.

(١١) سورة البقرة الآية ١١٦.

(١٢) سورة الإخلاص الآيات ٤-٤.

فَالصَّمَدُ: الذي يُصَمَّدُ إليه في الأمور، لانهائية بعده، وهذا كلام العرب. قال أوس بن حجر (١٣):

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بَعْمُرِ بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

فهذا كلام العرب. وقد قيل: الصَّمَدُ: الذي لا يَطْعَمُ. فهذه السُّورَةُ صِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أثبت لنفسه التوحيد، وأنه بخلاف خلقه؛ كُلُّ والدٍ وَمَوْلُودٌ، وفيهم الأكفاء، أي النظراء، وكل ذلك غير لائق بصفاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قال الفرزدق (١٤):

هُمُ أَنْكَحُوا قَبْلِي لَيْدًا وَأَنْكَحُوا ضِرَارًا وَهُمْ أَكْفَاؤُنَا فِي الْمَنَاصِبِ

وقوله في سورة آل عمران: ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٥)، أي تنزيهاً لك عَمَّنْ زعم أن خالقاً سواك، فقنا عذاب النار إيماناً بذلك وتصديقاً؛ إذ كان من لم يُصدِّق ويسبِّح من أهل النار، فحن نسبُّ ونُصدِّق، فقنا ما تلوم غيرنا.

وقوله: ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ (١٥) نحو قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ

(١٣) لم يرد في ديوانه بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم. والبيت لسيرة بن عمرو الأسدي، كما في المشوف المعلم ج ١ ص ٤٣٤ وتهذيب الألفاظ ٢٧٠، والسمط ٩٣٢، ومجاز القرآن ٣١٦/٢، واللسان (خير). ونسب في سيرة ابن هشام ٥٧٢/١ إلى هند بنت معبد بن نضلة تبكي عمرو بن مسعود، ومخالد بن نضلة، عمَّيها الأسديين، وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخمي. والبيت في تفسير القرطبي ٢٤٥/٢٠ واللسان (صمد) بلا نسبة.

ويروى «بخير بني أسد» على الأفراد؛ وقد رجحها ابن السرياني في «شرح أبيات إصلاح المنطق» (٤٢/ب)، وهو تحت الطبع في مؤسسة الرسالة بتحقيقي، وابن بري في اللسان (خير)؛ لأن «أفعل» لا يُثنى ولا يُجمع.

(١٤) ديوانه بتحقيق الصاوي (١١٣/١) من قصيدة يهجو بها جريراً، وروايته فيه:

هُمُ زُوِّجُوا قَبْلِي ضِرَارًا وَأَنْكَحُوا لَقِيطًا وَهُمْ أَكْفَاؤُنَا فِي الْمَنَاصِبِ

والبيت في الأغاني ٨٦/٨ (ط. الثقافة)، برواية:

هُمُ زُوِّجُوا قَبْلِي لَقِيطًا وَأَنْكَحُوا ضِرَارًا وَهُمْ أَكْفَاؤُنَا فِي الْمَنَاصِبِ

(١٥) سورة آل عمران الآية ١٩١.

أَتَمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴿١٦﴾ ، أي (١٧) : ما خلقت ذلك إلا لأمر وأنهى  
وأثيب وأعاقب .

١٢٢/ب وقوله في سورة النساء : ﴿ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ (١٨) ،  
أي تنزيهاً له عن ذلك .

ونحو من قوله سبحان الله : « الله أكبر » ، أي هو أعظم من كل عظيم .  
وكذلك معنى « سبحان » : أي كل صفة دون صفاته ، وبعيد منه ، غير  
ما وصف به نفسه .

وأما قول عيسى عليه السلام : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ  
مَالِيسَ لِي بِحَقِّكَ ﴾ (١٩) ، أي سبحانك عما قاله هؤلاء ، حين قالوا : إن  
عيسى - صلى الله عليه - إله ، وأنه ولد . ثم قال : ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ  
فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ  
عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٢٠) . أي لم أقله ، ولو قلته لكنت أعلمته ؛ أي لم أقله .

ومثل هذا قوله : ﴿ أَتَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي  
الْأَرْضِ ﴾ (٢١) ، أي بما لم يكن ؛ لأنه لو كان لعلمه ؛ وإنما نفى لما قالوه .

وقول القائل : ما علم الله أنه كان ذلك ؛ فإنما ينفي الكون ، أي لو كان  
لعلمه .

(١٦) سورة المؤمنون الآية ١١٥ .

(١٧) في تفسير القرطبي (١٥٦/١٢) : أي مهملين ، كما خلقت البهائم ، لا ثواب لها ولا عقاب عليها .  
قال الترمذي الحكيم : إن الله تعالى خلق الخلق عبداً لعبده ، فيثيبهم على العبادة ويعاقبهم على  
تركها ؛ فإن عبده فهم اليوم له عبيد أحرار كرام من رق الدنيا ، ملوك في دار السلام ؛ وإن رفضوا  
العبودية فهم اليوم عبيد أباقي سقاط لغام ، وغداً أعداء في السجون بين أطباق النيران .

(١٨) سورة النساء الآية ١٧١ .

(١٩) سورة المائدة الآية ١١٦ .

(٢٠) سورة المائدة الآية ١١٦ .

(٢١) سورة يونس الآية ١٨ .

وقوله: ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (٢٠)، أي تعلم ما أخفي ولا أعلم ما أخفيته عني. ثم قال: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢٢).

وقد أحكمت هذه المسألة في كتاب «الشهادات».

وأما قوله في سورة الأنعام: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (٢٣)، أي عما يصفون من الكذب. / وكذلك قوله: ١/١٢٣ ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ ﴾ (٢٤)، أي كذبهم.

وأما قوله في سورة الأعراف مخبراً عن موسى صلى الله عليه: ﴿ سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٥)، فالمعنى: تنزيهاً لك أن يكون إلا ما أردته من أن أراك أو أن تمنعني ذلك. وإنما طمع موسى عليه السلام في رؤية ربه حين كلمه، فسأل ما يجوز عنده، ولم يُعَنِّفْهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فقال: ﴿ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ (٢٥). فلم يأس موسى عليه السلام من الرؤيا، حتى رأى الجبل قد صار دكاً، وقد كان يجوز أن يستقر الجبل وأن يرى ربه، فلما منعه الله من ذلك قال: ﴿ سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ (٢٥)، أي رجعت عما كنت سألت، ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٥)، أي أول من آمن بما توحىه إليّ.

(٢٢) سورة المائدة الآية ١١٧.

(٢٣) سورة الأنعام الآية ١٠٠، وقامها: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾.

(٢٤) سورة الأنعام الآية ١٣٩. واتصب «وصفهم» بنزع الحافض، أي بوصفهم.

(٢٥) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

وكذلك سائر الأنبياء هم أول أمهم إيماناً حين يأتيهم الوحي، ثم يبلغون؛ فيؤمن من يؤمن، ويكفر من يكفر، وذلك متقدّم في علم الله عز وجل، وغيبه، مطوي عن الأنبياء.

فقال الله: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ (٢٦)، أي خذ ما آتيتك له، والعامل به، وكن من الشاكرين لما آتيتك من ذلك.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ/ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ (٢٧)، أي ينزهونه بأسمائه ويسجدون له. ب/١٢٣

وقوله في سورة يونس: ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ (٢٨)، أي هم في الجنة على تنزيه الله عما نزه عنه نفسه، كما كانوا في الدنيا، ﴿وَنَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) رضاً بما أعطوه (٢٩)، ونحو ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (٣٠).

حدثنا العباس بن محمد (٣١)، قال: حدثنا أبو الربيع الزهراني (٣٢)،

(٢٦) سورة الأعراف، الآية ١٤٤، وقامها: «قال ياموسى، إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين».

(٢٧) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦، وتتمتها: «وله يسجدون».

(٢٨) سورة يونس، الآية ١٠.

(٢٩) انظر تفسير القرطبي ٣١٣/٨ - ٣١٤، وجاء فيه: «يستحب للداعي أن يقول في آخر دعائه كما قال أهل الجنة: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين».

(٣٠) سورة المائدة الآية ١١٩ وغيرها.

(٣١) هو العباس بن محمد بن حاتم اللوري، أبو الفضل البغدادي، خوارزمي في الأصل، ثقة حافظ، مات سنة ٢٧١ هـ (التقريب ٣٩٩/١).

(٣٢) هو سليمان بن داود العنكي، أبو الربيع الزهراني البصري، سكن بغداد. صدوق. مات سنة ٢٣٤ هـ (مهدب الكمال ٤٢٣/١١).



قال: حدثنا سعيد بن زكريا<sup>(٣٣)</sup>، عن عَنبَسَةَ بن عبد الرحمن<sup>(٣٤)</sup>، عن المعل بن عُرفان<sup>(٣٥)</sup>، عن شقيق<sup>(٣٦)</sup>، عن عبد الله<sup>(٣٧)</sup>، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ »<sup>(٣٨)</sup>.

وقوله: ﴿ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾<sup>(٣٩)</sup> و ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ الْعَنِيِّ ﴾<sup>(٤٠)</sup>؛ كُلُّ ذَلِكَ أَصْلُهُ مَا وَصَفْتَهُ لَكَ.

وقوله: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ ﴾<sup>(٤١)</sup>، أي نَزَّهُ اسْمَهُ عن غير ما سَمَّيَ بِهِ نَفْسَهُ<sup>(٤٢)</sup>.

(٣٣) سعيد بن زكريا القرشي، أبو عثمان، ويقال: أبو عمر، المدائني من الطبقة التاسعة. ذكره ابن حبان في الثقات. (مهذب الكمال ٤٣٥/١٠).

(٣٤) عَنبَسَةُ بن عبد الرحمن بن عَنبَسَةَ بن سعيد بن العاص الأموي، من الثامنة، متروك الحديث. رواه أبو حاتم بالوضع (التقريب).

(٣٥) المعل بن عُرفان. قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث. وكان من غلاة الشيعة. (ميزان الاعتدال ١٤٩/٤، لسان الميزان ٦٤/٦).

(٣٦) هو شقيق بن سلمة، أبو وائل الأسدي، الكوفي، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره. اختلف في سنة وفاته، وذكر خليفة بن خياط أنه مات سنة ٨٢ هـ. (مهذب الكمال ٥٤٨/١٢).

(٣٧) إذا أطلق «عبد الله»، فهو عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٣٨) روى الهندي في «كنز العمال»، عن ابن مسعود، رقم (٧١٤١): «من قنع بما رَزَقَ دخل الجنة»، وعزاه إلى ابن شاهين في الترغيب، والديلمي في مسند الفردوس. وأخرج الإمام أحمد في المسند (٢٤/٥)، قال: حدثنا إسماعيل عن يونس، حدثني أبو العلاء بن الشخير، حدثني أحد بني سليم، ولا أحسبه إلا قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن الله تبارك وتعالى يتلى عبده بما أعطاه، فمن رضي بما قسم الله عز وجل له، بارك الله له فيه ووسعه، ومن لم يرض لم يبارك له.

(٣٩) سورة التوبة الآية ٣١.

(٤٠) سورة يونس الآية ٦٨.

(٤١) سورة الأعلى الآية ١.

(٤٢) ذكر القرطبي في تفسيره (١٣/١٩-١٥) وجوهاً عدة في معنى هذه الآية؛ منها: عظم ربك الأعلى، ونزه ربك عن السوء وعما يقول فيه الملحون؛ وعن الطبري أن المعنى: نزه اسم ربك عن أن تسمى به أحداً سواه. وقيل: نزه تسمية ربك وذكرك لها أن تذكره إلا وأنت خاشع معظم ولتذكره محترم.

وقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾<sup>(٤٣)</sup>، أي ادعُه بأسمائه، فنزّهه بها عما قاله المخالفون.

وكل ما كان في القرآن من قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾<sup>(٤٣)</sup> و ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ ﴾<sup>(٤١)</sup> فمعناه كله: نزّهه<sup>(٤٤)</sup> وعظّمه عن غير ما وصف الله به نفسه.

وقوله في سورة الرعد: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾<sup>(٤٥)</sup>، أي كُلُّ يَنْزُهُه ويعظّمه بأسمائه؛ وأسماءُ الله صفاتٌ له، وصفاتُ الله مدحٌ. وكُلُّ مَنْ ذَكَرَ اللهَ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ فَقَدْ أَطَاعَهُ، إِذَا وَصَفَهُ بِصِفَتِهِ الَّتِي رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ وَنَفَى سِوَاهَا عَنْهُ.

وكذلك قوله في الحجر: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾<sup>(٤٦)</sup>.

وقوله في / سورة النمل: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾<sup>(٤٧)</sup>، أي تعظيماً له وتنزيهاً عن إشراكهم به.

ولست ترى ذكر «سُبْحَانَ» في سائر القرآن إلا ومعها إثبات ونفي؛ فالإثبات لأسمائه التي هي صفاته، والنفي فيما سوى ذلك، فتأمله تجده في سائر القرآن.

كذلك قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ﴾<sup>(٤٨)</sup>. وقوله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرٌ بِعَبْدِهِ ﴾<sup>(٤٩)</sup>، أي تنزيهاً له وتعظيماً عن قول المكذّبين بأنبيائه على السنة أنبيائه.

(٤٣) سورة النصر الآية ٣، وغيرها.

(٤٤) في الأصل «نزّهه».

(٤٥) سورة الرعد الآية ١٣.

(٤٦) سورة الحجر الآية ٩٨.

(٤٧) سورة الطور الآية ٤٣، وسورة الحشر الآية ٢٣. وأما الآية التي في سورة النمل فهي: «وسبحان الله رب العالمين».

(٤٨) سورة النحل الآية ٥٧.

(٤٩) سورة الإسراء الآية ١.



وكذلك قوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾<sup>(٥٠)</sup>؛ فهذا إثبات<sup>(٥١)</sup> منه عزَّ وعلا التسييح من السماوات والأرض، وأنه لا يفقه تسييحهم إلا هو، وإن شاء أن يُعلِّمَ بعضَ خلقه بعضَ ذلك التسييح علِّمه، كما قال: ﴿عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾<sup>(٥٢)</sup>، فهذا مما لا يفقه خلقه، وإن شاء أن يُعلِّمه إنساناً علِّمه<sup>(٥٣)</sup>.

حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا أبو خزيمة العابد، قال: حدثنا عيسى بن ميمون، عن محمد بن الصَّبَّاح، عن كعب، قال:

«صياح الدُّرَّاجِ<sup>(٥٤)</sup> في السَّمَاءِ: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»<sup>(٥٥)</sup>.

حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن، قال: حدثنا مخلد بن عبيد، عن فرقد السَّبَّخِيِّ<sup>(٥٦)</sup>، قال:

مَرَّ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ/ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — بِدَيْكٍ يَصِيحُ، فَقَالَ: ب/١٢٤  
أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ هَذَا الدَّيْكَ؟ يَقُولُ: «يَا غَافِلِينَ اذْكُرُوا اللَّهَ»<sup>(٥٧)</sup>.

(٥٠) سورة الإسراء الآية ٤٣، ٤٤.

(٥١) في الأصل: «إثباتاً».

(٥٢) سورة النمل الآية ١٦.

(٥٣) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٦٦-٢٦٨.

(٥٤) الدراج: نوع من الطير يدرج في مشبه.

(٥٥) أخرجه القرطبي في التفسير عن مكحول ١٣/١٦٦.

(٥٦) هو فرقد بن يعقوب السبخي، أبو يعقوب، العابد، من أهل أرمينية، وانتقل إلى البصرة، وكان يأوي إلى السبخة بها فنسب إليها. توفي قبل سنة ١٣١ هـ (صفة الصفوة ٣/٢٧١، اللباب ٩٩/٢).

(٥٧) أخرجه القرطبي في التفسير ١٣/١٦٦ عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الديك إذا صاح قال اذكروا الله يا غافلين».

وقوله في سورة مريم: ﴿سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٨)، فهذا مع قصة عيسى عليه السلام، وما ادَّعَىٰ في أمره مما نفاه الله .

وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (٥٩)، أي اذكروا الله بأسمائه . والوحي ها هنا، إنَّما (٦٠) هو إعلام من زكريا، وقد ضرب على لسانه، وذلك قوله: ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ (٦١)؛ والرَّمز: الإيماء والحركة (٦٢) . قال جرير (٦٣) :

أَمْسَىٰ يُرْمِزُ حَاجِبِيهِ كَأَنَّهُ ذِيخٌ لَهُ بِقَصِيمَتَيْنِ وَجَارِ  
الذَّيخُ: ذَكَرَ الضُّبُعَ .

فالإيماء ها هنا في قصة زكريا: إعلام بغير كلام . وقد حكى أَنَّهُ خَطَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ . ولعمري ما تمنع اللغة من هذا أن يكون أعلمهم بأي جنس كان، من غير أن يكلمهم .

قال النجاشي (٦٤) :

- (٥٨) سورة مريم الآية ٣٥ .  
 (٥٩) سورة مريم الآية ١١ .  
 (٦٠) في الأصل: «وإنَّما» .  
 (٦١) سورة آل عمران الآية ٤١ .  
 (٦٢) الرمز في اللغة: الإيماء بالشففتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين، وأصله الحركة . (انظر تفسير القرطبي ٨٠/٤) .  
 (٦٣) ديوانه ج ٢ ص ٨٧٤ من قصيدته المشهورة في رثاء زوجه أم حذرة، ومطلعها:  
 لولا الحياء لعادني استعمار ولوزرت قبورك والحبيب يزار  
 والوجار: جحر الضبع .  
 (٦٤) هو قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحارث بن كعب، من كهلان . شاعر هجاء مخضرم، اشتهر في الجاهلية والإسلام، وكان فاسقاً رقيق الإسلام . أصله من نجران، وانتقل إلى الحجاز، ثم استقر في الكوفة، وهجا أهلها . هدده عمر بن الخطاب بقطع لسانه، وضربه عليٌّ على السُّكَّر في رمضان . كانت أمه من الحبيشة فنسب إليها . توفي نحو سنة ٤٠ هـ . (ترجم في الشعر والشعراء ٣٢٩، واللآلي ٨٩٠، والخزانة ٣٦٨/٤) .

يُحِطُّظُنَ بِالْبَطْحَاءِ وَحَيًّا عِلْمُهُ عَلَى أَنَّهُ أُغْيَا عَلَى كُلِّ كَاتِبٍ

وقوله في سورة طه: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا. وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ (٦٥)؛ يوصيه بالأوقات: ابتداء النهار، وآخره، وأطرافه، وآناء الليل، وهي أوقاته: واحدها إني وإنني وأنى . [ وأنشد ] أحمد بن يحيى (٦٦) :

حُلُوٌّ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ مِرَّتُهُ بِكُلِّ إِنْيٍ حَدَاهُ (٦٧) اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

وقوله: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ. وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (٦٨)؛ فهذه أوقات الصلاة. والصلاة الوسطى: العصر (٦٩).

وقوله: ﴿ وَسَبِّحْ (٧٠) بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ

(٦٥) سورة طه الآية ١٣٠.

(٦٦) هو أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر، مشهوراً بالحفظ. والبيت للمتنخل الهذلي، أبي أنيلة، واسمه مالك بن عويمر، من هذيل. من قصيدة يرثي بها ابنه أنيلة، قتله بنو سعد بن فهم، في خير طويل ذكره صاحب الأغاني. وانظر ديوان الهذليين ٣٥/٢، وشرح أشعار الهذليين ١٢٨٣، والأغاني (دار الكتب) ١٠٤/٢٤، وبجاء القرآن ١٠٢/١، ومعاني القرآن للزجاج ٤٧٠/١، والخزانة ١٣٨/٢، واللسان والتاج (إني). وكعطف القدح: أي يرى طوي كما يطوى القدح. ومِرَّتُهُ: فَتَلْتُهُ. ويتنعل: يسري في كل ساعة من الليل، من هدايته.

(٦٧) كذا في الأصل، وفي شرح أشعار الهذليين «حذاه الليل» وفي الأغاني «أناه» وفي اللسان «قضاء».

(٦٨) سورة الروم الآية ١٧ و ١٨.

(٦٩) هذا خطاب للمؤمنين بالأمر بالعبادة والحض على الصلاة في هذه الأوقات. قال ابن عباس: الصلوات الخمس في القرآن، قيل له: أين؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾، صلاة المغرب والعشاء، «وحين تصبحون» صلاة الفجر، «وعشيا» العصر، «وحين تظهرون» الظهر؛ وقاله الضحاك وسعيد بن جبير أيضاً. (انظر تفسير القرطبي ١٤/١٤-١٥).

(٧٠) في الأصل «فَسَبِّحْ».

وَقَبَّلَ الْغُرُوبِ . وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَأَذْبَارَ السُّجُودِ ﴿٧١﴾ ؛ فقد أمر الله عز وجل بالتسبيح ، ثم ذكر أوقاتاً يحض على التسبيح فيها (٧٢) .

حدثني الحُثَيْبِيُّ (٧٣) ، قال : حدثنا أحمد بن المُفَضَّل (٧٤) ، قال : حدثنا أسباط (٧٥) ، عن السُّدِّيِّ (٧٦) في قوله : ﴿ كُلُّ لَهُ أَوَاتٍ ﴾ (٧٧) ، قال : مُسَبِّحٌ لِلَّهِ (٧٨) .

حدثنا إسحاق بن وَهْبِ الْعَلَّافِ (٧٩) ، ومحمد بن يُوَيْسُ (٨٠) ، قالوا : حدثنا أبو داود الطيالسي (٨١) ، قال : حدثنا ورقاء (٨٢) ، عن ابن أبي نجيح (٨٣) ،

(٧١) سورة ق الآية ٣٩ و ٤٠ .

(٧٢) انظر تفسير القرطبي ٢٤/١٧ - ٢٦ .

(٧٣) هو محمد بن الحسين بن موسى ، أبو جعفر الحثيبي الكوفي ، صاحب «المسند» . محدث حافظ ، متقن . مات سنة ٢٧٧ هـ . (سير أعلام النبلاء ٢٤٣/١٣) .

(٧٤) هو أحمد بن المفضل الحفري الكوفي ، أبو علي ؛ مولى عثمان بن عفان . صدوق ، شيعي ، في حفظه شيء . مات سنة ٢١٥ هـ (التقريب) .

(٧٥) هو أسباط بن نصر الهمداني ، أبو يوسف ، ويقال : أبو نصر الكوفي ، من الثامنة . وثقه ابن معين . قال النسائي : ليس بالقوي . (خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٦) .

(٧٦) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي ، أبو محمد الكوفي . صاحب التفسير ، صدوق يهجم ، ورعي بالشيعة . مات سنة ١٢٧ هـ (التقريب ، وتهذيب الكمال ١٣٢/٣) .

(٧٧) سورة ص الآية ١٩ .

(٧٨) وفي قول : إن الهاء في «له» تعود إلى داود عليه السلام ، فالظير تأتيه طائفة تسبيح الله معه . (انظر تفسير القرطبي ١٦١/١٥) .

(٧٩) إسحاق بن وهب بن زناد العلاف ، أبو يعقوب الواسطي . صدوق . كان حياً سنة ٢٥٥ هـ (تهذيب الكمال ٤٨٧/٢) .

(٨٠) محمد بن يونس بن موسى الكنديسي ، أبو العباس السامي ، البصري . ضعيف . مات سنة ٢٨٦ هـ ، وقد جاوز المائة . (سير أعلام النبلاء ٣٠٢/١٣) .

(٨١) هو سليمان بن داود بن الجارود ، أبو داود الطيالسي ، البصري . ثقة ، حافظ ، غلط في أحاديث . مات سنة ٢٠٤ هـ . (التقريب) .

(٨٢) هو ورقاء بن عمر الشكري ، أبو بشر الكوفي ، نزيل المدائن . ذكره ابن حبان في الثقات . (تهذيب الكمال ١١٣/١١) .

(٨٣) اسمه عبد الله ، واسم أبي نجيح يسار ، الثقفى المكي . الإمام الثقة المفسر . كان جميلاً فصيحاً ، حسن الوجه ، لم يتزوج قط . وهو من أخص الناس بمجاهد . تولى سنة ١٣١ هـ . (سير أعلام النبلاء ١٢٥/٦) .

عن مجاهد<sup>(٨٤)</sup>، في قوله: ﴿يَا جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ﴾<sup>(٨٥)</sup>؛ قال: سُبِّحِي مَعَهُ<sup>(٨٦)</sup>.

/ قال أبو عبد الله: فَكُلُّ مَنْ عَظَّمَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَدَعَاهُ بِأَسْمَائِهِ فَهُوَ مُسَبِّحٌ لَهُ.

حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي<sup>(٨٧)</sup>، قال: حدثنا أبو معاوية<sup>(٨٨)</sup>، عن الأعمش<sup>(٨٩)</sup>، عن أبي صالح<sup>(٩٠)</sup>، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»<sup>(٩١)</sup>.

قال أبو عبد الله: فقد بينت لك معنى التسبيح، ومعنى أسماء الله عز وجل أنها صفات له ومدح، فكل من دعاه باسم من أسماءه فقد أطاعه ومدحه وعظمه وسبحه.

(٨٤) هو مجاهد بن جبير، أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين. روى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقهاء. قرأ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، ومن جملتها ثلاث سأله عن كل آية فيم كانت. مات نحو سنة ١٠٤ هـ وقد نيف على الثمانين. (سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩، طبقات القراء ٤١/٢).

(٨٥) سورة سبأ الآية ١٠.

(٨٦) قاله مجاهد وابن عباس، كما في تفسير الطبري ٤٦/٢٢ (ط. بولاق).

(٨٧) وهو أبو عمر الكوفي، ضعفه ابن حجر في التقريب، وقال: سماعه للسيرة صحيح. مات سنة ٢٧٢ هـ، وله خمس وتسعون سنة. (التقريب).

(٨٨) هو محمد بن خازم التميمي، أبو معاوية الضرير، الكوفي، عمي وهو صغير. ثقة. كان أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد يهيم في حديث غيره. مات سنة ١٩٥ هـ. (تهذيب التهذيب ١٣٧/٩).

(٨٩) هو سليمان بن مهران، أبو محمد الأسدي، الكوفي، الأعمش، شيخ المقرئين والمحدثين، ثقة حافظ، وورع، لكنّه يدلّس، مات سنة ١٤٨ هـ. (سير أعلام النبلاء ٦/٢٢٦).

(٩٠) أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب، اسمه بإذام، ويقال: بأذان. ضعيف، مدلس. قال ابن عدي: عاتمة ما يرويه تفسيرا، قل ما له من المسند. (التقريب، وسير أعلام النبلاء ٥/٣٧).

(٩١) أخرجه مسلم رقم (٢٦٩٥) في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

حدثنا العباس بن محمد، قال: حدثنا يعلى بن عبيد<sup>(٩٢)</sup>، قال: حدثنا الأعمش، عن أبي وائل<sup>(٩٣)</sup>، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه:

« لَيْسَ أَحَدٌ أُغْيِرَ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ. وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَذْحُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »<sup>(٩٤)</sup>.

وقوله: ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾<sup>(٩٥)</sup>، أي اذكروني بأسمائي، وعند تصرفكم وأحوالكم، أذكركم برحمتي<sup>(٩٦)</sup>.

حدثنا العباس بن محمد، قال: حدثنا يعلى بن عبيد، قال: حدثنا الأعمش، عن مجاهد في قوله: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾<sup>(٩٧)</sup>؛ قال: من خاف مقام الله<sup>(٩٨)</sup>.

حدثنا محمد بن عيسى الواسطي<sup>(٩٩)</sup>، قال: حدثنا عبد الله بن صالح/

(٩٢) يعلى بن عبيد بن أبي أمية، أبو يوسف الطنابغسي الكوفي، ثقة، مات سنة ٢٠٩ هـ. (سور أعلام النبلاء ٤٧٦/٩).

(٩٣) هو شقيق بن سلمة، أبو وائل الأسدي، وقد مضت ترجمته.

(٩٤) رواه البخاري (٢٨٠/٩) في النكاح، باب الغيرة، ومسلم رقم (٢٧٦٠) في التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، والترمذي رقم (٣٥٢٠) في الدعوات.

ولفظه في البخاري: « ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، وما أحد أحب إليه المذح من الله ».

(٩٥) سورة البقرة الآية ١٥٢.

(٩٦) انظر تفسير القرطبي ١٧١/٢ - ١٧٢.

(٩٧) سورة الرحمن الآية ٤٦.

(٩٨) قال مجاهد وإبراهيم النخعي: هو الرجل يهيم بالمعصية فيلكر الله فيدعها من خوفه. (تفسير القرطبي ١٧٦/١٧).

(٩٩) هو محمد بن عيسى بن السكن، أبو بكر الواسطي. قدم بغداد، وحدث بها، وكان ثقة. مات في منصرفه من بغداد إلى واسط سنة ٢٨٧ (تاريخ في بغداد ٤٠٠/٢).



ابن مُسلم<sup>(١٠٠)</sup>، عن أبي الأحوص<sup>(١٠١)</sup>، عن منصور<sup>(١٠٢)</sup>، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾<sup>(١٠٣)</sup>؛ قال: هو أن يذكر الله عند المعصية فينحجز.

حدثنا محمد بن عبد الملك<sup>(١٠٤)</sup>، قال: حدثنا يزيد بن هارون<sup>(١٠٥)</sup>، قال: أخبرنا فضيل<sup>(١٠٦)</sup>، عن عطية<sup>(١٠٧)</sup> في قوله: ﴿وَلْيَذْكُرِ اللَّهُ أَكْبَرَ﴾<sup>(١٠٨)</sup>؛ قال: ذكُرُ اللَّهِ العبدُ أكبرُ من ذِكْرِ العبدِ اللهُ<sup>(١٠٩)</sup>.

حدثنا محمد بن عبد الملك، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا فضيل، عن عطية في قوله: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾<sup>(١١٠)</sup>؛ قال: قبل ذلك.

(١٠٠) هو أبو أحمد العجلي الكوفي، نزل بغداد، وحدث بها، وأقرأ بها القرآن، ثقة. (سير أعلام النبلاء ٤٠٣/١٠).

(١٠١) هو سلام بن سليم الحنفي، أبو الأحوص الكوفي، ثقة متقن. مات سنة ١٧٩ هـ. (تهذيب الكمال ٢٨٢/١٢).

(١٠٢) هو منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي، أبو عتاب الكوفي، ثقة ثبت، من طبقة الأعمش، مات سنة ١٣٢ هـ. (التقريب).

(١٠٣) سورة الرحمن الآية ٤٦.

(١٠٤) محمد بن عبد الملك بن مروان الواسطي، أبو جعفر اللثقي. صدوق، مات سنة ٢٦٦ هـ. (تهذيب التهذيب ٣١٧/٩).

(١٠٥) يزيد بن هارون بن زاذان، ويقال: ابن زاذي، أبو خالد السلمي، الواسطي. ثقة متقن، عابد، كبير الشأن، مات سنة ٢٠٦ هـ وقد قارب التسعين. (سير أعلام النبلاء ٣٥٨/٩).

(١٠٦) هو فضيل بن مَرْزُوق الأغر الرقاشي، الكوفي، أبو عبد الرحمن. صدوق، يهيم، رمي بالتشيع. مات في حدود سنة ١٦٠ هـ. (التقريب).

(١٠٧) هو عطية بن سعد بن جنادة، العوفي، الجذلي، الكوفي، أبو الحسن. صدوق يخطيء كثيراً، كان شيعياً مدلساً. مات سنة ١١١ هـ. (التقريب).

(١٠٨) سورة العنكبوت الآية ٤٥.

(١٠٩) قال القرطبي في التفسير (٣٤٩/١٣): ذكُرُ اللَّهِ لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم، وهو اختيار الطبري. وعن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قول الله عز وجل: ﴿وَلْيَذْكُرِ اللَّهُ أَكْبَرَ﴾، قال: ﴿وذكر الله إيمانكم أكبر من ذكركم له﴾.

(١١٠) سورة الصافات الآية ١٤٣.



قال أبو عبد الله: يعني أنه كان يذكر الله في الرخاء؛ فلما ذكره عند الشدة أنجاه؛ ألا ترى أن فرعون لما أدركه العرق قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١١١)</sup>؛ فقال الله تبارك وتعالى: ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(١١٢)</sup>. فلم يكن فرعون يذكر الله في الرخاء، فلم يقبله في الشدة حين رأى بأسه.

وكان يونس — عليه السلام — يذكر الله في الرخاء، فأعانه في وقت الشدة، وأنجى قومه من العذاب، بعد أن / قد أظلمهم، ولم يفعل ذلك بغيرهم من الأمم؛ ألا تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾<sup>(١١٣)</sup>، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾<sup>(١١٤)</sup>، أي هذه سنة الله؛ فمن أهلك من الأمم إذا رأوا بأسه آمنوا، ولو كانوا آمنوا بذلك الوعيد قبل وقوعه لنفعهم<sup>(١١٥)</sup>.

(١١١) سورة يونس الآية ٩٠.

(١١٢) سورة يونس الآية ٩١.

(١١٣) سورة غافر الآية ٨٤.

(١١٤) سورة غافر الآية ٨٥.

(١١٥) ذكر القرطبي في تفسيره (٩٠/٥ — ٩٣) شروط التوبة وقبولها من الله تعالى. وذكر أيضاً (٣٨٤/٨) مانصه: «روي في قصة قوم يونس عن جماعة من المفسرين: أن قوم يونس كانوا يبتغون من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه، فأبوا، فقيل: إنه أقام يدعوهم تسع سنين، فبس من إيمانهم، فقيل له: أخبرهم أن العذاب مصيبتهم إلى ثلاث، ففعل، وقالوا: هو رجل لا يكذب فارقبوه، فإن أقام معكم وبين أظهركم فلا عليكم، وإن ارتحل عنكم فهو نزول العذاب لاشك. فلما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم، فأصبحوا فلم يجدوه، فتابوا ودعوا الله، ولبسوا المسوح، وفرقوا بين الأمهات والأولاد من الناس والبهائم، ورددوا المظالم في تلك الحالة... وعن ابن عباس: أنهم غشيتهم ظلة وفيها حمرة، فلم تزل تدنو حتى وجدوا حرها بين أكفهم. وقال ابن جرير: غشيتهم العذاب كما يغشى الثوب القبر (كذا)، فلما صحت توبتهم رفع الله عنهم العذاب. وقال الطبري: خص قوم يونس من بين سائر الأمم بأن تيب عليهم بعد معاناة العذاب؛ وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين. وقال الزجاج: إنهم لم يقع بهم العذاب، وإنما رأوا العلامة التي تدل على العذاب، ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الإيمان».

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، فَأَخَذَهُمْ  
 الْعَذَابُ﴾ (١١٦)؛ ذهب ناس من الناس إلى أَنَّ فِيهِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا: فَأَخَذَهُمُ  
 الْعَذَابُ فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، وَالآيَةُ يَخْرُجُ مَعْنَاهَا عَلَى ظَاهِرِهِ، فَيَكُونُ: فَعَقَرُوهَا  
 فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ لَمَّا أَظْلَمَهُمُ الْعَذَابُ، وَرَأَوْا عِلَامَاتِ ذَلِكَ قَبْلَ أَخْذِهِ لِيَاهِمُ، ثُمَّ  
 أَخَذَهُمْ.

تمت المسألة والحمد لله رب العالمين

(١١٦) سورة الشعراء الآية ١٥٧ و١٥٨.